الأنثروبولوجيا وعلم اللغويات المعاصرة

- دراسة في أصول النظرية الأنثرولغوية-

Anthropology and Contemporary Linguistics

- A study in the origins of anthropological theory-

عزيز كعواش[1]

[1]جامعة بسكرة، الجزائر، aziz.kaouache@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 28 /2019/11 تاريخ القبول: 2020/02/10 تاريخ النشر:2020/08/23

ملخص

يعالج موضوع المقال الأنثروبولوجيا اللغوية واهتمامها بمناقشة القضايا اللغوية الكثيرة أهمها علاقة اللغة والتواصل بالثقافة والمجتمع. ولذلك تهدف هذه الدراسة إلى البحث في ماهية نظرية " الأنثروبولوجيا اللغوية " وقضاياها وملامح العلاقة بين اللغة والثقافة. وإبراز أهمية البحث اللغوي لفهم الأنثروبولوجيا في المجتمعات البشرية، ومحاولة الكشف عن كيفية تأثر الأشكال اللغوية بالعناصر أو المكونات الثقافية للمجتمع.

كلمات مفتاحية: أنثروبولوجيا؛ ثقافة؛ انثرولغوية؛ لغة؛ فونولوجيا

Abstract

The topic of the article deals with linguistic anthropology and its interest in discussing many linguistic issues, the most important of which is the relationship of language and communication to culture and society. Therefore, this study aims to research the nature of "linguistic anthropology" theory, its issues, and features of the relationship between language and culture. And highlight the importance of linguistic research to understand anthropology in human societies, and try to reveal how linguistic forms are affected by cultural elements or components of society.

Keywords: anthropology; culture; anthropology; language; phonology

المؤلف المرسل: عزيز كعواش، **الإيميل:**aziz.kaouache@univ-biskra.dz

1. مقدمة:

تؤدي اللغة الدور الأساسي في الاتصال بين البشر، وهي الوسيلة الرئيسية في خلق الحضارات وبناء المجتمعات الإنسانية. فاللغة تتميز بأنها ظاهرة اجتماعية، ولا يوجد نظام لغوي منفصل عن الجماعة التي تستخدمه، ومن هنا كانت الدراسات الاجتماعية للغة، لأنها توضح العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية. وقدأقر كثير من الدارسين في مجالات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا واللسانيات بتأثير النظرية الاجتماعية الأنثروبولوجية في الدراسات اللغوية قديما وحديثا، وهذا ما جعل بعض علماء الأنثروبولوجيا يذهب إلى حد القول بأن أية مناقشة للرموز في غير محيط الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجي دراسة فاشلة.

فاللغة إذن نشاط اجتماعي من حيث أنها استجابة ضرورية لحاجة الأفراد للاتصال مع بعضهم البعض، ولذلك فإن العلوم الاجتماعية عامة كعلم الانثروبولوجيا قد تتقاطع منهجيا مع اللسانيات عندما تتناول اللسان من حيث هو ظاهرة اجتماعية، وأثر الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية.

وقد ظهرت البذور الأولى لهذا المفهوم مع عالم اللسانيات الشهير فرديناند دي سوسير، عندما أكد أن اللسان هو مظهر اجتماعي لجماعة بشرية تتميز بخصوصيات ثقافية وحضارية معينة، ومنذ ذلك الحين أصبحت اللغة ظاهرة اجتماعية كغيرها من ظواهر المجتمع.

أما علماء الأنثروبولوجيا فقد عدّوا اللغة أحد أهم العناصر المشكلة للثقافة، لاعتبارهم إياها نمطا هاما من الأنماط الثقافية التي تتكون من خلالها ثقافة مجتمع ما، بل تعد عند معظم الانثربولوجيين أهم هذه الأنماط. فهذا النمط اللغوي الثقافي هو في حد ذاته معبر وحامل للأفكار الإنسانية؛ وهو التراكم الثقافي الذي يحمله الإنسان في ذاكرته. فلم يعد دور اللغة في المجتمع عند المُحدَثين الأنثروبولوجيين بعد ذلك يقتصر على كونها أداة تواصل بين أفراده، بل غدت تمثل جزءا هاما من عناصر الثقافة كما هو عند أكثر الأنثروبولوجيين.

إن هذا الارتباط الوثيق بين اللغة والثقافة، كان الدافع القوي وراء الاهتمام الذي أبداه علماء اللغو والأنثروبولوجيا لدراسة لغات الأمم، إذ عدّت اللغة المدخل الذي يلج منه علماء الانثروبولوجيا ودارسوها إلى البحث في بنية المجتمع الثقافية والاجتماعية والحضارية. واعتمدت الانثروبولوجيا من حينها اللغة محورا أساسيا في تفسير الظواهر الاجتماعية أثناء الدراسة، ولجأ دارسوها إلى الأخذ بنتائج الدراسة اللسانية الحديثة للاستفادة من معطياتها في دراسة الوقائع الأنثروبولوجية.

إن تحديد اهتمامات علم اللغة الانثروبولوجي ومجالات البحث فيه، إنما يكون بالنظر إلى المشكلات التي يطرحها والحلول التي يقترحها لهذه المشكلات، أو من خلال الإجابات التي تشغل بال الباحثين. وقد نتصور في دراستنا هذه المشكلة التي تصب في هذا الاهتمام، ويمكننا عرضها كما يلي:

ما العلاقة بين الدرس اللساني الحديث وبحوث الانثروبولوجيا؟وهل يعد استخدام العمليات اللسانية والمعرفة اللغوية ناجعا في دراسة ثقافة المجتمعات؟ وهل يرتبط كل ذلك بالوظيفة التي تؤديها اللغة داخل بيئاتها الثقافية؟

2. البحث الأنثرولغوي؛ الماهية والنشأة:

كانت أول استفادة من علم اللغة أو اللسانيات في حقل البحوث الانثروبولوجية هي محاولة الربط المنهجي بين مخرجات الدرس اللغوي الحديث والدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية على يدّ الباحثين والأكاديميين في المعاهد والمخابر المتخصصة. وإنما نرموا من خلال سوقنا لهذا المسار التاريخي لنشأة وتطور الدراسات الانثرولغوية تبيان المبادئ المختلفة والأصول المتغيرة والمتباينة أحيانا فيما بين الدارسين والتي تستنبط طوعا من جهود هؤلاء الأنثروبولوجيين بمختلف اتجاهاتهم ومدارسهم الفلسفية.

ويعدّ الأنثروبولوجي البريطاني البارز مالينوفسكي الأول والرائد في مجال اهتمام الانثروبولوجيين الانجليز في هذا النوع من الدراسات الحديثة، وقد كان يؤكد دوما في تحليلاته لموضوعات ثقافة المجتمعات على الحاجة الملحة إلى بناء مبادئ قارة لـ «نظرية انثرولغوية لتوجيه الباحث الانثروبولوجي أثناء عمله ... لأن مثل هذه النظرية تكشف عن كيفية تأثر الأشكال اللغوية بالعناصر أو المكونات الثقافية للمجتمع».(حسام الدين، 2002، صفحة 29)

كان اهتمام مالينوفسكيفي بحوثه الأنثرولغوية بدراسة المعنى في اللغات البدائية على وجه الخصوص والذي عدّه من الأسس والمرتكزات في الدراسات الأنثروبولوجية، وكان ذلك بارزا في مقاله الشهير بعنوان " مشكلة المعنى في اللغات البدائية " (حسام الدين، 2002، صفحة 28)الذي نشره عام 1923. وحينئذ صار مالينوفسكي يمثل المدرسة الانجليزية في بحوثها الأنثرولغوية والمنادية بمبدأ التكافل في العلاقة بين اللغة ومظاهر الثقافة الأخرى.

أما المدرسة الفرنسية فقد سارت في مراحل دراساتها الأنثرولغوية مسار البحوث الانجليزية، إذ ترى أنأهم مبادئ البحث الانثروبولوجي الحديث النظر إلى العلاقة بين اللغة والمظاهر الأخرى للثقافة علاقة انسجام. حيث نجد اللغوي الفرنسي الشهير ليفي شتراوس لا يتردد في الدعوة إلى تطبيق المنهج الفونولوجي وهو أحد المناهج اللسانية المتطورة على الوقائع الاجتماعية وما يشكلها من العناصر الثقافية. لقد توجه أغلب اللغويين المحدثين في المدرسة الفرنسية نحو هذا المسلك اللغوي التحليلي في العلاقة بين اللغة والثقافة، ساعين إلى الربط المنهجي سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية أو الميدانية بين اللغة والثقافة وتوظيف الآليات اللغوية اللسانية في دراسة وبحث موضوع ثقافة المجتمعات محاولين المساهمة في التأسيس لنظرية أنثرولغوية.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فكانت معالم المدرسة الأنثرولغوية في تصورها للعلاقة بين اللغة والثقافة أقرب إلى تصور المدرسة الفرنسية. فاللغة عندها نتاج ثقافي أو ميراث اجتماعي.(حسام الدين، 2002، صفحة 42) فمنذ فترة مبكرة بدت محاولات الربط بين اللسانيات والدراسات الانثروبولوجية الأمريكية جادة، بالاعتبار أن اللغة والثقافة عند أكثر دارسيها اللغويين والأنثروبولوجيين على السواء مرتبطتان ارتباطا عضويا، وخاصة وأن نشأة الدراسات اللسانية الأمريكية أول أمرها قد تعلقت بدراسة ثقافة مجتمعات الهنود الحمر وأثرها على حياة الأمركيين الجدد ولاسيما مع اللغوي والانثروبولوجي الشهير فرانز بواس، فتشكلت في الولايات المتحدة مدرسة صارت بعد ذلك عريقة في بحوثها الانثروبولوجية اللسانية.

وكان من الرواد المؤسسين للمدرسة الانثرولغوية في أمريكا وأكثرها اهتماما؛ فرانز بواس (franzboas)، والذي يعد رائد الدراسات فيها لقيامه بدور هام في توجيه الدرس اللغوي في كتابه المعروف ((handbouk of americanindianlanguages، والذي تعد مقدمته الأساس الذي قامت عليه المدرسة الانثروبولوجية الأمريكية. حيث تناول فيها العلاقة بين علم الانثرولوجيا الذي يدرس الظواهر الذهنية أو اللاشعورية في المجتمع، وعلم اللغة الذي يمثل أهمية خاصة في فهم هذه الظواهر.

ومن اللغويين الأمريكيين أيضا الذين كان لهم أثر بارز في تطوير البحث الانثرولغوي اللغوي سابير والذي «عمل على تدعيم مجالات الدرس اللغوي في إطار الانثروبولوجيا اللغوية، وإبراز العلاقة بين الظواهر الثقافية والظواهر اللغوية».(حسام الدين، 2002، صفحة 29) أما بلومفيلد اللساني البنيوي والمؤسس الحقيقي للغويات الأمريكية فبالرغم من اتجاهه السلوكي في الدرس اللغوي، سوى أنه عدّ علم اللغة أكثر العلوم الإنسانية التصاقا بعلم الانثروبولوجيا.

وهكذا اهتم اللسانيون الأمريكيون وغيرهم إلى المعاصرين اليوم بعلم الانثروبولوجيا اللسانية بعدما استقرت فكرة العلاقة بين العلمين، فدرسوا لغات المجتمعات التي وقفوا على بحثها، مستخدمين المنهج اللساني الحديث، ومسجلين في مؤلفاتهم قواعدها، وواصفين لمفرداتها ومجالاتها.

لقد انتهى علماء اللغويات بعد احتكاكهم العميق بالدراسات الانثربولوجية وعلى أساس العلاقة البارزة والمؤثرة بين اللغة والثقافة إلى تعريف علم اللسانيات الانثروبولوجية anthropologicallinguistics بأنه العلم الذي يدرس اللغة وعلاقتها بالبيئة الثقافية التي تنشأ فيها، والدور المميز الذي تقوم به كوعاء للثقافة ، كما اهتم اللسانيون بدراسة تجارب الجماعة اللغوية بخصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية، والتي تظهر في المناسبات الاجتماعية والثقافية الخاصة، كالاحتفالات وممارسة الشعائر الدينية والشعائر الخاصة بالزواج والميلاد والوفاة وعلاقة ذلك كله بمعتقدات المجتمع وأفكاره ولاسيما في المجتمعات البدائية. (لوشن، 2001، صفحة 160)

3. قضايا النظرية الأنثرولغوية ومبادئها:

إن علم اللسانيات الانثروبولوجية يبحث في قضايا شتى ومجالات عديدة تحمل في طياتها الأسس المنهجية للبحوث اللغوية والأنثروبولوجية وما لها من صلة وطيدة بالحياة اللغوية والثقافية للمجتمعات البشرية. ولعل أكثر القضايا التي يلاحظ فيها الدارس ملامح تلك العلاقة من خلال بحوث اللغويين والأنثروبولوجيين معا نذكر منها ما يلي:

1.3. اللغة وعلاقتها بالثقافة:

يرى أصحاب علم اللسانيات الانثروبولوجية أن السلوك اللغوي لأعضاء الجماعة اللغوية ضمن المجتمع الواحد يظهر المتكلم بشكل مباشر على أنه حامل لنمط معين من أنماط الثقافة، وأنه أكثر الظواهر ملائمة للملاحظة العلمية الموضوعية والمباشرة، حيث أن «الثقافة واللغة كلتيهما تلعبان دورا مهما في تكوين المجتمعات الإنسانية أو التجمعات العرقية المتميزة ». (داود، 2001، صفحة 93) وبناء على ذلك فإن النمط الثقافي لأي مجموعة بشرية يرتبط أساسا بتلك اللغة المميزة لتلك الجماعة. (لوشن، 2001، صفحة 161)أي أنه من خلال لغة الشخص نتعرف على مستوى ثقافته.

فعلاقة الثقافة باللغة الطبيعية تحتل مركزا هاما في دراسات الفكر الإنساني في أوروبا وأمريكا على السواء، فاللغة تحدد نظرة المجتمع إلى العالم المحيط بالإنسان بما فيه من ثقافة لها انعكاساتها على طريقة تفكير أفراد المجتمع الذين يتكلمون لغة واحدة. (لوشن، 2001، صفحة 161)ويرى اللغوي الأمريكي إدوارد سابير «أن البشر لا يعيشون في العالم المادي وحده، ولا في عالم النشاط الاجتماعي بالمفهوم العادي, وإنما يخضعون إلى النموذج اللغوي الذي يحدد التكيف الاجتماعي في المحيط الثقافي ».(لوشن، 2001، صفحة 161) أي أن اللغة هي التي تبرز لجماعة معينة النمط الاجتماعي لديهم في محيط ثقافي معين، وهم في ذلك التكيف مع ذلك المحيط خاضعون للغة وذلك المحيط في تكيفهم.

ويذهب أيضا إدوارد سابير في مناقشاته لدور اللغة في الحياة الثقافية للمجتمعات البشرية إلى أنه «من الصعب فصل اللغة عن الثقافة، واستعمال الثقافة هنا بالمعنى الواسع لتدل على التصورات والمفاهيم التي تكونها المجموعة البشرية عن العالم المحيط بها »، (ميشال، صفحة 22.) فحين كانت الثقافة هي تصورات الإنسان عن عالمه، أصبح من الصعب الفصل بينها وبين اللغة، لأن لكليهما ارتباط بالمفاهيم الفكرية العقلية للإنسان في نظر سابير.

وقد اقتفى اللغوي وورف أثر أستاذه سابير في البحث في هذا المجال، وقد توصل من خلال دراسته الميدانية عن الهنود الحمر إلى مجموعة من النتائج العلمية اقترنت باسمه وصارت تعرف "بفرضية وورف". (لوشن، 2001، صفحة 161)

وفي هذه الدراسة ذهب " وورف " إلى أن اللغة ليست في جوهرها وسيلة للتعبير عن الأفكار، بل هي نفسها التي تشكل هذه الأفكار. وقد قدم أمثلة كثيرة من لغات متعددة منها نماذج من بنية الأفعال في إحدى لغات الهنود الحمر، وهي لغة مسماة بـ (hopi) وعقد مقارنة بينها وبين اللغة الانجليزية في بنية الفعل، فوجد أن الزمن يختلف اختلافا جذريا بين اللغتين. (مطر، صفحة 217) لقد بينت دراسة " وورف" أن اللغة هي نفسها الأفكار، وهي ذاتها الحاملة للثقافة. وأن لغة الهنود الحمر تختلف عن الانجليزية فهذا يشير إلى اختلاف ثقافة الهنود عن ثقافة سكان المدن الناطقين بالإنجليزية، وهذا شيء معروف لدى الجميع.

لقد انتهت كل البحوث التطبيقية والميدانية حول علاقة اللغة الثقافة إلى أن اللغة ترتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة، وهي العامل الأساسي الذي تقوم عليه العلاقات داخل المجتمع. كما أنها الوسيلة التي تنقل لنا الثقافات المختلفة عبر الأجيال. (لوشن، 2001، صفحة 162) أي بدراسة اللغة لمجتمع معين مستطيع التوصل إلى ثقافة ذلك المجتمع، لأن اللغة هي الحاملة لتلك الثقافة.

2.3. لا وجود للغات البدائية عند اللغويين من خلال البحث الأنثروبولوجي:

لقد درس اللغوي وورف أيضا اللغات الهندية مثل لغة الهوبي في الاريزوناولغة الازتك في المكسيك. وانتهى إلى أن مباني هذه اللغات البدائية تختلف اختلافا كليا عن اللغات الهندية الأوروبية المعروفة، إذ هي تكشف عن نفسية ذات خصوصية مختلفة ومتميزة. (إفيتش، 2000، صفحة 299)

ومثال ذلك أن لغة قبيلة هوبي hopi لا تميز زمن الحدث على النحو المعروف للغات الهندية الأوروبية، ولكن لها وسائلها النحوية التي تصف بها الظواهر تبعا للامتداد الزمني، فالخطوة والموجة وحدث الذهاب هي ظواهر متحولة، والحجر والشجرة والإنسان ظواهر ثابتة، على حين أن السحابة لا تقع من الوجهة النمطية ضمن إحدى هاتين الفئتين. (إفيتش، 2000، صفحة 299) وعليه فان هذه اللغة لا تفرق بين الأسماء والأفعال، وزمن حدوث الأفعال، بل تصنف الكلمات أو الأشياء حسب ثباتها أو تغيرها.

وأفصح وورف من خلال دراسة هذه اللغات البدائية «عن تأييده القوي للقول بان العالم الذهني والنفساني للمرء يرتبط ارتباطا جد وثيق ببنية لغته ». (إفيتش، 2000، صفحة 301) أي أن البنية البسيطة للغة تفصح عن بساطة نفسية صاحبها وسبل عيشة ومجتمعه، كما هو الحال في هذه المجتمعات البدائية، فسواء كانت بسيطة أو معقدة فبنية لغتها توحي بذلك.

وأكد وورف كذلك أنه لا وجود للغة بدائية. فكل لغة تتمتع بصفة الكمال في الاتجاه الخاص بها، وكل شيء يمكن التعبير عنه بكل لغة، غير أن كل بنية لغوية خاصة تؤثر أو تفضل طريقة خاصة في التعبير عن مفاهيمها للعالم، وتمهل –في الوقت نفسه– طرقا أخرى ممكنة للتعبير عن الظواهر نفسها.

(إفيتش، 2000، صفحة 301) فلقد كانت اللغة الوسيلة التي يتخذها العلماء دائما للولوج إلى أغوار المجتمعات والكشف عن مميزاتها الثقافية.

3.3. البحث في أصل اللغات:

يهتم علم اللسانيات الانثروبولوجية بالبحث عن أصول اللغات وأشكالها الرمزية، ومحاولة إعادة البناء اللغوي لبعض هذه اللغات، بغرض الوقوف على المجموعات اللغوية التي تشترك وترجع إلى أصول متشابهة، كالمجموعة السامية مثلا التي تضم اللغة العربية واللغة العبرية وغيرها. (فاروق، صفحة 37)

فبالإضافة إلى البحث في اللغات البدائية، فإن علم اللسانيات الأنتروبولوجية يبحث أيضا في اللغات المتحضرة بهدف الكشف عن الأبنية المتشابهة لهذه اللغات لمعرفة الأصل الأول لكل لغة.

وقد قسم الأنثروبولوجيون اللغويون والدارسون اللغات الإنسانية إلى فصائل وعائلات، يجمع أفراد كل فصيلة منها صلات لغوية قرابية، فتتفق في أصول الكلمات وقواعد البنية وتركيب الجمل وما إلى ذلك. وتكون الأمم الناطقة بها مجموعة إنسانية متميزة ترجع إلى أصول شعبية واحدة أو متقاربة، ويحكم بينها طائفة من الروابط الجغرافية والتاريخية والاجتماعية التي تكون مشتركة بينها.وبناء على هذا فإن أشهر نظرية قسمت اللغات على هذه الأسس هي نظرية ماكس مولر التي ترجع جميع اللغات الإنسانية إلى ثلاثة فصائل وعائلات هي العائلة الهندية الأوربية والعائلة السامية الحامية والعائلة الطورانية. (فاروق، صفحة 37)

إن اللغات الهندية الأوربية هي أكثر اللغات الإنسانية انتشارا، ويتكلم بها الآن جميع سكان أوروبا والأمريكتين واستراليا وجنوب إفريقيا. ما عدا بعض الجماعات القليلة في أوربا مثل المجرية التركية وغيرها، وأيضا ماعدا السكان الأصليين الأمريكتين واستراليا. وكذلك يتكلم اللغة الهندية – الأوروبية قسم كبير من سكان آسيا: الهند، إيران، أفغانستان، كردستان، القوقاز، أرمينيا. (فاروق، صفحة 37)

أما العائلة اللغوية السامية – الحامية فإنها تشغل منطقة أصغر بكثير من المنطقة التي تشغلها الفصيلة الهندية – الأوربية. حيث أنها لا تشغل سوى بلاد العرب وشمال إفريقيا وجزءا من شرقها وعدد الناطقين بها لا يتجاوز عددهم عشر سكان أوربا، ولكن هذه العائلة اللغوية تتميز عن العائلة الهندية الأوربية بأن منطقتها متماسكة الأجزاء لا يتخللها أي عنصر أجنبي. وان الناطقين باللغة السامية الحامية مجموعة شديدة التجانس تتلاقى شعوبها في أصول واحدة قريبة وتتفق في أساليب الحياة وفرع الحضارة والنظم الاجتماعية (فاروق، صفحة 39).

ويجمع بين اللغات السامية للمجموعة الأولى من هذه الفصيلة كثير من الصفات المشتركة المتعلقة بأصول الكلمات والأصوات ومخارج الحروف وقواعد الصرف وما إلى ذلك. (فاروق، صفحة 39) وقد قويت وجوه الشبه بين بعض أفرادها حتى ليحسبها الباحث مجرد لهجات للغة واحدة. أما المجموعة الثانية

وهي اللغات الحامية فلا يوجد بين طوائفها الثلاث (المصرية . القديمة، البربرية،الكوشيتية)أي وجه للشبه والقرابة اللغوية.

أما الفصيلة الثالثة فقد أطلق ماكس مولر اسم اللغات الطورانية على طائفة من اللغات الآسيوية والأوربية التي لا تدخل تحت العائلتين السابقتين كالتركية والتركمانية والمغولية والمنشورية والفينيقية الخ. (فاروق، صفحة 39) ومن ثم فاللغات الطورانية ليست فصيلة أو عائلة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة, وهي عدد من اللغات لا تجمعها أية صفة تتشابه في قواعدها وما يجمع بينها هو عدم دخولها في إحدى الفصيلتين السابقتين. (وافي، صفحة 196 ، 206)

4.3. دراسة اللهجات المحلية:

تعد دراسة اللهجات إحدى مجالات الدراسات الانثربولوجية اللغوية، حيث يسعى العلماء إلى دراسة اللهجات المحلية وعلاقتها باللغة الأم وبتأثيرها على هذه اللغة (فاروق، صفحة 41). أي يحاول العلماء التوصل إلى العلاقة بين اللغة الأم واللهجات المحلية، هل هي متفرعة منها، وما مدى تأثير هذه اللهجات على اللغة الأم في كيفية النطق أو تغيير الألفاظ وما إلى ذلك.

وكذلك يحاول العلماء في هذا المجال البحث عن الألفاظ القديمة المنتشرة في اللهجات المحلية، ومحاولة الوصول إلى اللغة الأصلية التي انبثقت منها هذه الألفاظ الباقية إلى اليوم. ومثال ذلك بعض الألفاظ من اللغة المصرية القديمة المنتشرة في اللهجات المصرية المحلية (فاروق، صفحة 41). فبالبحث عن هذه الألفاظ القديمة يتوصل العلماء إلى معرفة اللغات المنقرضة، وعلاقتها بتلك المجتمعات الناطقة بها.

4. نموذج الدراسة التطبيقية في مجال اللسانيات الأنثروبولوجية:

- **تطبيق المنهج الفونولوجي في الدراسة الأنثروبولوجية؛ نظام القرابة لليفي شتراوس نموذجا:**

لم يعد البحث اللغوي – بعد اكتشاف نظرية الفونيم – يركز على العناصر أو الجزئيات أو الوحدات الصوتية في حد ذاتها، بل أصبح يهتم ببيان العلاقات المحددة والمميزة لكل عنصر أو صوت داخل النظام اللغوي. وأصبح التحليل الفونولوجي يصنع الوظيفة قبل المادة، أي أن طبيعة العنصر لا تتحدد بدوره منفردا بل عن طريق وظيفته من خلال الكل. (حسام الدين، 2002، صفحة 42)

ولم يقتصر هذا المفهوم في تحديد قيمة العنصر على اللغة فقط كنتاج ثقافي، بل يصدق أيضا على كل نتاج ثقافي آخر كالفن وغيره. وكان هذا التصور للتحليل الفونولوجي هو الأساس الذي بني عليه شتراوس تحليله البنيوي لنظام القرابة، والذي تحصل على درجة الدكتوراه بدراسته عن البنى الأولية للقرابة.وقد ظهر هذا الاتجاه عنده في أول مقالله عن التحليل البنيوي في علم اللغة والانثربولوجيا، والذي نشر لأول مرة في مجلة Wordعام 1945. (حسام الدين، 2002، صفحة 42)ويرى ليفي شتراوس أن

الآحاد أو الأفراد الداخلين في علاقة القرابة شأنهم في ذلك شأن الوحدات الصوتية، فهم عناصر لها وظائفها في نظام القرابة ولا تكتسب هده العناصر وظيفتها إلا بتكاملها في نظام أو بناء. (زيد، صفحة 196/2)

فالأشخاص لا يكتسبون قيمتهم ووظيفتهم إلا في دخولهم في نظام القرابة بوظيفة معينة ومهمة، وإن «الباحث في هذه الحالة ليس بصدد البحث البيولوجي لكل طرف من أطراف القرابة، ولكنه يهتم بدراسة وبيان العلاقات القائمة بين هذه الأطراف».(زيد، صفحة 196/2)لا يقوم الباحث بدراسة بيولوجية لكل شخص، بل يقوم بدراسة العلاقات التي تربط الأشخاص في بنائهم لنظام القرابة. وكما أن النظام الصوتي بعلاقاته العضوية ودوره الوظيفي مستقر في ذهن الجماعة اللغوية، فإن نظام القرابة أيضا مستقر على النحو نفسه (حسام الدين، 2002، صفحة 44). أي أنه إذا كان النظام الصوتي له قواعد متفق عليها وموجودة في ذهن كل شخص، فالشيء نفسه بالنسبة لنظام القرابة، فكل شخص موجود في ذهنه التصور للعلاقات التي تربط الأشخاص بعضهم ببعض في نظام القرابة وهو معروف لدى الجميع بالكيفية نفسها.

إن تكرار أشكال القرابة وقواعد العلاقات الاجتماعية التي تسند إلى القرابة والمصاهرة في المجتمعات المختلفة، تشبه في ذلك الوحدات الصوتية الموجودة في اللغات المتعددة التي تتحدث بها هذه المجتمعات. فهي على الرغم من اختلافها وتعددها فهي ذات عدد محدود.(حسام الدين، 2002، صفحة 44)

وعلى الرغم من تعدد أشكال القرابة وكثرتها، إلا أن نوع العلاقات القرابية التي تربط بين الأشخاص محدود ومعروف، شأنها في ذلك شأن الوحدات الصوتية، فرغم كثرة اللغات وكثرة الألفاظ، إلا أن عددها محدود. وكما "تكون الفونيمات عناصر النظام الصوتي للغة، فإن مصطلحات القرابة تكون نظام القرابة من خلال وظيفتها الإشارية"(حسام الدين، 2002، صفحة 44).وعليه فإن مصطلحات القرابة بهذا المفهوم ليس لها وجود اجتماعي فقط، بل إنها تمثل عناصر للكلام لأنها جزء من مفردات اللغة أو المعجم اللغوي للجماعة. (حسام الدين، 2002، صفحة 44) فتكون مصطلحات نظام القرابة نظاما خاصا بالقرابة، وفي الوقت نفسه هي جزء من مصطلحات اللغة، لأنها تستعمل أثناء عملية التواصل أو كلام.

إن القيمة الخلافية من أهم مميزات النظام الصوتي للغة، حيث أن كل وحدة صوتية تدخل مع غيرها في علاقة عضوية خلافية تميزها عن غيرها من الوحدات الصوتية للنظام. ومثال ذلك صوتي السين والصاد، فكلاهما صوت أسناني لثوي مهموس أما السمة الخلافية بينهما فهي أن الصاد صوت مفخم والسين صوت مرقق. (حسام الدين، 2002، صفحة 45)

وقد كان التطبيق مفهوم السمة الفارقة أو القيمة الخلافية للوحدات الصوتية على وحدات القرابة من خلال الوحدتين القرابيتين العم والعمة، فكلاهما يشترك في إخوة للأب والقرابة غير مباشرة (أي قرابة جانبية وليست خطية) وكبر السن بالنسبة للأفراد، ونجد السمة الفارقة بينهما الذكورة والأنوثة، وكذلك نفس الشيء ينطبق على الخال والخالة، الجد والجدة.(حسام الدين، 2002، صفحة 45) وكذلك من مميزات النظام

الصوتي أيضا وجود الثنائيات الفارقة الصامت في مقابل الصائت، والمهموس في مقابل المهجور، والشديد في مقابل الرخو، والمفخم في مقابل المرقق. فنجد مثلا: الضاد في مقابل الدال، والطاء في مقابل التاء.(حسام الدين، 2002، الصفحات 45 –46).

وقد طبق مبدأ الثنائيات الضدية في نظام القرابة، حيث أن الذكر في مقابل الأنثى، والكبير في مقابل الصغير، والجانبي في مقابل الخطي، والمصاهرة في مقابل الدم. ومثال ذلك الوحدات القرابية الزوج في مقابل الزوجة، والأب في مقابل الأم، والأخ في مقابل الأخت والجد في مقابل الجدة، والعم في مقابل العمة، والخالة في مقابل الخال، والخال في مقابل العم، والزوجة في مقابل الضرة إلى غير ذلك.(حسام الدين، 2002، صفحة 46)

وأثناء عمل شتراوس الذي فطن فيه إلى علاقة التشابه بين نظام اللغة ونظام القرابة، فإنه لاحظ وجود ثلاث سمات لتكوين نظام القرابة، وهي: علاقة الدم أو علاقة الانحدار، وعلاقة الزواج أو علاقة المصاهرة، وعلاقة الأبوة والأمومة أي علاقة الإنجاب.لقد ارتبط ظهور الثقافة بظهور الرموز أو العلامات التي تكون نظام اللغة(حسام الدين، 2002، صفحة 46). وبما أن الثقافة ارتبط وجودها بوجود اللغة فإنه من أبرز مميزات الثقافة أنها خاصية ينفرد بها الكائن الإنساني وحده.(نعمان، صفحة 28)

لقد اعتمد جل علماء الأنثروبولوجيا على المبادئ اللسانية التي طبقوها على الظواهر الإنسانية أثناء بحوثهم، وتوصلوا إلى أن اللغة هي مفتاح نفوس البشر، حيث أنها توحي وتقذف بكمائن هاته النفوس على شكل سلوكيات لغوية حاملة لثقافات متنوعة ومختلفة.

5. خاتمة:

خلصت الدراسة التحليلية لموضوع اللسانيات الأنثروبولوجية إلى النتائج التالية:

- يرى الانثربولوجيون أن اللغة ترتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة، وذلك أن كل فرد من أفراد المجتمع يمارس مجموعة من السلوكيات المادية والمعتقدات المعنوية التي تصل إلى عقله ووجدانه من خلال هذه اللغة. وإن العلاقة بين اللغة والثقافة علاقة عضوية، ذلك أن اللغة تعبير عن الفكر والرغبات وغيره ذلك.فاللغةإذن هي إحدى مكونات الثقافة.
- لقد اعتبر الانثربولوجيون اللغة كأحد أهم العناصر المكونة للثقافة، وذلك لأن اللغة نمط هام من الأنماط الثقافية التي تتكون من خلالها ثقافة مجتمع ما، بل تعد عند معظم الانثربولوجيين أهم هذه الأنماط لأنها تعدّ الوعاء الذي يحتوي جميع الأنماط الثقافية وسماتها.ولكونها المعبرة عن الأفكار الإنسانية والحاملة لها، وهذه الأفكار هي ذلك التراكم الثقافي الذي يحمله الإنسان في ذاكرته.
- اتفق العلماء على أن المجتمعات كلها المتحضرة منها والبدائية لها ثقافة، والحامل لهذه الثقافة والمعبر عنها هو اللغة. وذلك على أساس أن الكلمات والصيغ اللفظية عامة هي المادة اللغوية الأساسية التي

تدون بها المعارف والثقافات، فيتمكن الإنسان العارف بها من الاستمرار في التحصيل المعرفي، فاللغة إذن هي الصانعة لثقافة المجتمعات.

- تتميز الثقافات الإنسانية عند الأنثروبولوجيين بعضها عن بعض، وتختلف في مدلولاتها ومضامينها من مجتمع لآخر ومن حضارة لأخرى، ولكن لا تعبر عن تلك المضامين الثقافية للمجتمعات المختلفة إلا اللغة، فكل لغة تعبر عن ثقافة المجتمع الناطق بذات اللغة.
- تظهر العلاقة التكاملية بين اللغة والثقافة في أن الثقافة تساعد على تطوير اللغة، وذلك من خلال إمدادها بالمفردات والمعاني. كما أن ضمور الثقافة وتوقفها عن النمو والإنتاج الفكري يؤدي حتما إلى وقوف تطور اللغة في الدلالات والمعاني، ويضيق أفق اللغة وتعجز عن التعبير عن الأشياء المستحدثة التي لم يكن لثقافة تلك اللغة فضل في اختراعها، ومن ثم تعجز عن إيجاد مسميات لهذه الاختراعات.
- وانطلاقا من العلاقة المتبادلة بين اللغة والثقافة فان الفروق في لهجات اللغة الواحدة ماهي إلا انعكاسات للفروق بين ثقافات المجتمعات أو المجموعات، أي أن تعدد اللهجات في لغة واحدة يوحي إلى وجود ثقافات عديدة في المجتمع الواحد الناطق لهذه اللغة، ونفس الشيء بالنسبة لتعدد الثقافات في المجتمع الواحد والناطق بلغة واحدة فإنها– أي تعدد الثقافات– تؤدي إلى خلق لهجات عديدة للغة الواحدة في المجتمع الواحد.

6. قائمة المراجع:

- كريم زكي حسام الدين(2002)، اللغة والثقافة دراسة انترولغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
- ابراهيم السامرائي(1927)، فقه اللغة المقارن،ط:4، بيروت: دار العلم للملايين.
- فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس ابراهيم(2005)، الأنثربولوجيا الثقافية، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، الأزاريطية.
- محمد الجوهري(2012)، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- نور الهدى لوشن(2001)، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،القاهرة: المكتبة الجامعية.
- ميلكاافيتش(2000)، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعيد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد،ط:2، المجلس الأعلى للثقافة.
- محمد محمد داود(2001)، العربية وعلم اللغة الحديث، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- ميشال زكرياء(1983)، الألسنية المبادئ والأعلام،ط:2، بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.

- عبد العزيز مطر (1966)، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ط:1، القاهرة: الدار القومية للطباع والنشر.
- فاروق احمد مصطفى(2005)، محمد عباس إبراهيم، الانتربولوجيا الثقافية، الأزاريطية: دار المعرفة الجامعية.
- علي عبد الواحد وافي (2004)، علم اللغة، ط:1، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر.
- احمد أبو زيد(1982)، البناء الاجتماعي، ط:8، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أحمد بن نعمان(دون سنة)، هذي هي الثقافة، الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع.